النهضة في الدراسات المستقبلية

أ.قسوم سليم

الملتقى الوطني حول:

الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية:مناهج وتطبيقات

جامعة باجي مختار-عنابة- يومي 15- 16 أفريل 2013

« . . . "نحن مسافرون باستمرارٍ في رحلة استكشاف نحو المستقبل. ولكننا لسنا سُوَّاحًا يرافقنا دليل يستطيع أن يخبرنا تماما ماذا سنصادف أمامنا، وبيقينا مرتاحين وبأمان. على العكس، نحن مستكشفون في منطقة مجهولة وخطرة لم يسبقنا إليها أحد أبدا من قبل."

إدوارد كورنيش: محرر مجلة المستقبلي The Futurist

"The purpose of futures studies is not to know the future but to make better decisions today."

Jerome C. Glenn

- شـــهدت "أبحـــاث المســـتقبل" Futures Research أو "الدراسات المستقبلية" Futures Studies خصوصا في تسعينيات القرن الماضي العديد من النقاشات الفكرية والأكاديمية التي تمحورت أساسا حول طبيعة وحدود هذا الحقل المعرفي مستفهمة بداية حول هويته المعرفية وأدواره في رصد العديد من التحولات التي أفرزتها البيئة العالمية آنذاك من جهة؛
- ومساءلة الأنماط المختلفة للخطابات حول المستقبل من جهة أخرى تحت ما عرف بالدراسات المستقبلية النقدية.

- تحاول هذه المداخلة دراسة التطورات الحاصلة في الحقل المعرفي للدراسات المستقبلية مستفهمة بداية حول طبيعة وأهداف وبرنامج البحث فيها. بالإضافة إلى تقديمها لأهم النقاشات المعرفية التي دارت ضمن مراحل تطورها المختلفة.

- وهي تجادل بأن المواقف إزاء المستقبل قد تغيرت في أوقات مختلفة من التاريخ سواء من حيث الكيفية التي ينظر بها الناس إلى المستقبل أو من حيث كيفية تأثير القيم على تصورات المستقبل.

تعريف الدراسات المستقبلية:

- نعيش اليوم في زمن تتسارع فيه حركيات التغيير والتحول التي تمس جميع مناحي الحياة والمتداخلة مع بعضها البعض بشكل أكثر تعقيدا؛ إنه "عصر التغيرات الكبرى المتعددة"(Michael Marien) أو "التحول العظيم" (Edward Cornish)
- على قاعدة التساؤل حول معنى "التغيرات" Changes وإلى أين تقودنا مستقبلا، تأسست الدراسات المستقبلية كحقل معرفي يسعى إلى

" رصد التغير في ظاهرة معينة وتحديد الاحتمالات المختلفة لتطورها في المستقبل، وتوصيف ما يساعد على ترجيح احتمال دون غيره" (Cornish ,1977,p.83.)

- "ذلك المجال من البحث الاجتماعي الذي يهدف إلى دراسة نسقية للمستقبل.[...] يطمح المستقبليون إلى اكتشاف أو اختراع واقتراح ودراسة وتقييم المستقبلات الممكنة والمحتملة والمفضلة.إنهم يستكشفون المستقبلات البديلة من أجل مساعدة الناس على اختيار وخلق مستقبلهم المرغوب فيه"(Wendell,2002,p.1.)

- فهي لا تتعلق بالدراسة العلمية للمستقبل، بل تتعداها للبحث في خيارات وإمكانيات التغيير،تركز على الاحتمالات و الأفكار و الرغبات والآمال وكذا مخاوف الأفراد من المستقبل.إنها تتعلق بالتفكير وصنع البدائل وكذا إدراك و تمكين وتشجيع المستقبل الممكن فضلا عن المستقبل المرغوب.

برنامج البحث في الدراسات المستقبلية:

- لقد مثل التساؤل حول المواضيع والقضايا التي تشكل مركز اهتمام الحقل أو"حول ماذا يتم التفكير في حقل الدراسات المستقبلية؟" أحد الأسئلة المفتاحية المعرفة للحقل؛

فعلى الرغم من أن "مايكل مارين" Michael Marienيعتقد بعدم وجود اتفاق حقيقي مشترك بين المستقبليين على هذا المستوى، إلا أنه يرى أن الاهتمام بشكل عام يتمحور حول المسائل والمواضيع الشاملة من قبيل الفئات الرئيسية السبع عشر التالية:المستقبلات البديلة/الاقتصاد الشامل/أقاليم العالم والأمم/الأمن/البيئة والمصادر/الغذاء والزراعة/المجتمع والدين/الحكم/الاقتصاد والتجارة/العمل/المدن/الجريمة والعدالة/الصحة/التعليم/الاتصالات/العلم والتكنولوجيا/مناهج تجسيد المستقبل.

تطور الدراسات المستقبلية:

- يرجع الكثير من المستقبليين بداية تشكل هوية الحقل المعرفية إلى نهاية الحرب العالمية الثانية التي مثلت نقطة تحول فارقة في دراسة المستقبل؛

لقد بدأ الناس ينظرون إلى المستقبل بأشكال أكثر علمية.

أدبيات ما قبل الحرب العالمية الثانية

- الكهانة
- السحر
- اليوتوبيا
- الخيال العلمي

- لا توجد فروقات كبيرة بين الحوافز التي قادت السعي للبحث في الدراسات المستقبلية في السابق والآن

ما تغير هو ببساطة الأدوات والدور المنوط بالدراسات المستقبلية بدلا من الرغبة في معرفة المستقبل ذاته.

الدراسات المستقبلية:
من الأربعينيات إلى الستينيات
في الو.م.أ

- نشأت الدراسات المستقبلية في شمال أمريكا أساسا من التخطيط الاستراتيجي؛
- أن تمويل هذه البحوث كان من قبل الدوائر العسكرية؛
- طورت العديد من الأساليب لدراسة المستقبل على غرار تقنية دلفي وبناء السيناريو الموجهة أساسا للتنبؤ التكنولوجي والاقتصادي والعسكري؛ كمعدلات الإنتاج،الأضرار الناتجة عن حرب نووية...؛
- العديد من مؤسسات الفكر وضعت نفسها على الخارطة (RAND Corp., Stanford Research Institute)؛

الدراسات المستقبلية:

من الأربعينيات إلى الستينيات

في أوروبا (فرنسا)

- الحركة الفكرية المعروفة بـ"الاستشراف"تطورت في فرنسا مع كل من Gaston Berger وBertrand de Jouvenel ؛
- فلسفة الاستشراف:المستقبل
  - ✓ هو مجال مفتوح وقابل للتأثير فيه؛
  - ✓ لا يوجد مستقبل واحد وإنما هناك مستقبلات ممكنة Futurs Possible (Futuribles)؛
  - ✓ دراسة المستقبل هي فن ينطوي على تفكير تخيلي وإبداعي وتأملي أكثر منه آراء للخبراء أو استخدام لنماذج علمية.

الدراسات المستقبلية:
من الأربعينيات إلى الستينيات

الاختلافات

- هناك جوانب من الاختلافات التي حكمت تطور الدراسات المستقبلية في الغرب من الأربعينيات إلى الخمسينيات:

1. **الدراسات الاستقرائية (الو.م.أ.)**:و التي ركزت على
   - ✓ التخطيط والتنبؤ الاقتصادي والعسكري؛
   - ✓ طورت مناهجها وتقنياتها بشكل أساسي داخل الو.م.أ.؛
   - ✓ المستقبل قابل للقياس كميا؛
   - ✓ انصب الاهتمام بهذا النوع من الدراسات من قبل القطاع الخاص.

الدراسات المستقبلية:
من الأربعينيات إلى الستينيات

الاختلافات

2. الدراسات المعيارية (أوروبا):التي ركزت على

- ✓ التفكير التخيلي والطوباوي الذي يجد أصوله في تقاليد الفكر الأوروبي، علم الاجتماع والفلسفة؛
- ✓ تصوراتها وانشغالاتها انصبت على الديناميكيات الاجتماعية والثقافية بشكل أساسي؛
- ✓ ينظر إلى المستقبل على أنه مختلف نوعيا؛
- ✓ تشكلت هذه الأعمال في الأوساط الفكرية والأكاديمية

الدراسات المستقبلية:

من الأربعينيات إلى الستينيات

- ما ميز الجيل الأول من المستقبليين في هذه الفترة هو أن النقاش الفكري من 1950 إلى 1960 قد قسم المهتمين بالحقل إلى معسكرين متعارضين؛

النزعة التفاؤلية ← النزعة التشاؤمية

مستقبل الوفرة ← مستقبل الندرة (النمو مقابل اللانمو)...

- مع ملاحظة على المستوى المنهجي وهو الاستخدام الواسع في أوروبا لتقنية السيناريو التي وضعت في الولايات المتحدة الأمريكية

(وجود تبادل وتلاقح للأفكار عبر ضفتي الأطلسي)

العصر الذهبي في الدراسات المستقبلية:
من أواخر الستينيات إلى أواخر الثمانينيات

- التطورات(المنهجية خاصة) التي كانت مقتصرة في السابق على المستوى الوطني أو الإقليمي فجأة حققت شهرة على المستوى العالمي؛
- توسعت الدراسات المستقبلية لتصل إلى أجزاء كبيرة من الأوساط الأكاديمية الدولية مستخدمة الأدوات المطورة حديثا في دراسة المستقبل (بشكل خاص استخدامها لقدرات الكمبيوتر كأداة للتنبؤ)؛
- أصبحت الدراسات المستقبلية تحظى باحترام العديد من المؤسسات الفكرية والمجلات الدولية ؛
- تم نشر العديد من المؤلفات التي أثارت انتباه الجمهور إلى المستقبل على غرار:

- ✓ The Year 2000,1967
- ✓ Things to Come,1972
- ✓ The Next 200 Years,1978
- ✓ Future Shock,1973
- ✓ The Limits to Growth(بيعت منه حوالي 10 ملايين نسخة عبر العالم)

- ❑ أصبح ينظر لـ"الغد" كبعد جديد له آثاره على العلماء ورجال الأعمال والسياسيين على حد سواء؛
- ❑ تقرير "حدود النمو" أثر في تطور الدراسات المستقبلية من نواح مهمة:
- ✓ كان بداية لمجموعة كاملة من النماذج العالمية التي أعدت في سنوات السبعينيات والثمانينيات؛
- ✓ هذه النماذج أصبحت تمول بشكل كبير من وكالات الأمم المتحدة، و الشركات متعددة الجنسيات وبعض الحكومات؛

- ✓ زاد من الاعتراف بالمسألة البيئية كأحد المشكلات المركزية في المستقبل
- ❑ جعلت الدراسات المستقبلية تصبح أكثر إعترافا بها وعلى نطاق واسع في أواخر الثمانينيات (النقاش حول التنمية المستدامة).
- ❑ في هذه الفترة أنشأت هيئات رسمية والعديد من المؤسسات العاملة في مجال المستقبل في الو.م.أ. كما في أوروبا؛

- ➢ **World Future Society(USA);**
- ➢ **World Futures Studies Federation (USA);**
- ➢ **Hudson Institute (USA);**
- ➢ **Science Policy Research Unit(UK);**
- ➢ **Association Internationale de Futuribles (Paris);**
- ➢ **Secretariat for Futures Studies(Stockholm);**
- ➢ **Zentrum für Zukunftsforschung(Berlin)…**

غير أن أواخر السبعينيات

- التوقعات غير الدقيقة لحالة الاقتصاد وعدم قدرتها على رؤية الأزمة الطاقوية (الحصار البترولي OPEC)، جعل البعض من الحكومات والشركات الخاصة تمنع التمويل عن عدد من الأعمال والأبحاث المستقبلية
- ساد نوع من فقدان الثقة في الدراسات المستقبلية أين وسم الحقل بأنه فتي ولم يكتمل بعد.

الدراسات المستقبلية: مرحلة النقد:
من أواخر الثمانينيات...

- من أواخر الثمانينيات وخصوصا إبان التسعينيات ساد الاعتقاد بأن الحقل قد بلغ سن الرشد FUTURES STUDIES COMES OF AGE (Wendell, 1997)، إنه وقت:
  - ✓ توطيد أعمال الماضي و بناء المؤسسات،
  - ✓ وضع جدول أعمال للتطورات الجديدة القادمة؛
- الدراسات المستقبلية لديها الآن منشوراتها ومؤسساتها ومنهجياتها الخاصة؛
- العاملون في الحقل يتقاسمون الآن وبشكل متزايد الالتزامات النظرية والمفاهيمية، الأهداف، المبادئ الأخلاقية،الشعور كجماعة علمية التي تعرف نفسها بـ"المستقبليين" FUTURISTS

- لكن هذه النظرة المفعمة بالتفاؤل قد تعرضت للنقد بشكل كبير أين تركز النقاش بشكل حاد حول النقاط التالية:
  - الدراسات المستقبلية هي حقل متفكك جد غامض وتنتشر في العديد من الحقول المعرفية الأخرى؛
  - يركز المستقبليون على مناطق ضيقة نسبيا في دراساتهم واستشاراتهم (اختصاصيين وتغيب عندهم النظرة الكلية)؛
  - الدراسات المستقبلية ليست حقلا متميزا ومنفصلا:الكثير من التفكير المستقبلي يحدث خارج الحقل؛
  - الدراسات المستقبلية يساء فهمها بشكل كبير من طرف غير المنتمين للحقل ونادرا ما تشير المنشورات الرئيسية في الحقول الأخرى إلى شؤون المستقبل؛
  - الدراسات المستقبلية ليس لها هوية مستقرة؛(اهتماماتها المركزية تتغير مع الوقت).

- الدراسات المستقبلية عبارة عن عدد من المجتمعات التي تتداخل مع بعضها إلى حد ما.(لا تشكل جماعة علمية متميزة)؛
- أعمالها غير متماسكة وغامضة ويغلب عليها الجانب الأيديولوجي؛
- لا يوجد هناك اتفاق حول المواضيع والمسائل الهامة في الحقل.

- هذا بالإضافة إلى تأثر الحقل بالنزعة النقدية وما بعد الوضعية في فلسفة العلوم، **إنه عصر الدراسات المستقبلية النقدية**
- تتجاوز الرؤية التقليدية للمستقبل (الدراسات الامبريقية و المعيارية) إلى:
  - الاستفهام ومساءلة وانتقاد تصوراتنا وممارساتنا حول المستقبل؛
  - تحليل نقدي لخطاباتنا ومصالحنا الإيديولوجية ودراسة مختلف أنماط الخطاب حول المستقبل؛
  - إعادة صياغة تصوراتنا حول مشاكل العالم...

View publication stats